

# مجزرة رابعة ... جثث على مدى البصر

الجمعة 16 أغسطس 2024 08:08 م

تستطيع جيهان ماهر عقل أن تتذكر كل تفاصيل المذبحة وكأنها حدثت بالأمس □  
تقول إن بعض الجثث كانت متفحمة لدرجة أنه لم يعد من الممكن التعرف عليها □ وتلقى العديد منهم رصاصات قناصة في الرأس □ وكان آخرون مصابين بطلقات نارية في أجسادهم □  
في مثل هذا اليوم منذ أحد عشر عامًا، في الساعات الأولى من صباح الرابع عشر من أغسطس 2013، اقتحمت قوات الأمن المصرية ساحتي رابعة والنهضة في القاهرة وقتلت ما لا يقل عن 900 متظاهر مؤيد للديمقراطية في واحدة من أكبر عمليات قتل المتظاهرين في يوم واحد في تاريخ مصر الحديث □  
جاءت الحملة العنيفة بعد ستة أسابيع من استيلاء الجنرال عبد الفتاح السيسي على السلطة من أول رئيس مصري منتخب ديمقراطيًا، محمد مرسي □  
على مدار ستة أسابيع، تجمع الآلاف من المحتجين في ميداني رابعة والنهضة للمطالبة بإعادة مرسي والعودة إلى العملية الديمقراطية التي خاضها الشعب بقوة قبل عامين فقط □  
قيل إن العديد من المحتجين الذين بلغ عددهم 85 ألف شخص كانوا أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين، لكن عددا كبيرا منهم كانوا أيضا من المدنيين غير الحزبيين المعارضين للانقلاب □  
وكان من بين الحاضرين نساء وأطفال وكبار السن □  
في الثالث عشر من أغسطس، كانت الساحة تعج بالنشاط - حيث كانت القلاع المطاطية وحمامات السباحة وأكشاك الطعام على بعد أمتار قليلة من منطقة الاعتصام □  
ووصفت جيهان: "ولكن بعد يوم واحد فقط، كانت الدماء" في كل مكان □ جثث على مدى البصر".  
وقالت جيهان لموقع ميدل إيست آي: "لقد أمطرتنا الرصاصات من كل جانب"، وهي تتذكر بألم اللحظات المروعة التي قُتل فيها الرجال والنساء والأطفال من حولها □  
وتابعت: "لم أكن أتصور قط أنني سأغادر الميدان على قيد الحياة □ لقد فكرت بصدق، "هذه هي النهاية".

"قبيح وعنيف"

قبل أسابيع، قبل أن يشن انقلابه، حذر السيسي، الذي عينه مرسي وزيراً للدفاع ورئيساً للقوات المسلحة، من أن قواته سوف تضطر إلى التدخل في ظل الاحتجاجات المناهضة للحكومة والمظاهرات المضادة التي هزت البلاد □  
وقال السيسي: "نحن مسؤولون بالكامل عن حماية إرادة الشعب المصري العظيم □ لم تحاول القوات المسلحة قط التدخل في الشؤون العامة أو السياسة □ ولكن أود أن أقول إننا جميعاً نتحمل مسؤولية أخلاقية ووطنية وتاريخية".  
وأضاف: "لن نقبل أن تدخل مصر في نفق مظلم من الصراع أو الصراع الداخلي أو الحرب الأهلية أو انهيار مؤسسات الدولة".  
غالباً ما يوصف ما سيحدث بعد ذلك بأنه نهاية التحول الديمقراطي في مصر □  
في أعقاب الانقلاب، غضب أنصار الجيش وشعروا بالإحباط إزاء الاعتصام المتحدي، وجاءت الدعوات لفض الاعتصام من وسائل الإعلام الخاصة والمملوكة للدولة المؤيدة للجيش إلى حد كبير □  
أمرت الحكومة المدعومة من الجيش بفض اعتصامي رابعة والنهضة في 14 أغسطس، حيث أغلقت قافلة من المركبات العسكرية المدرعة جميع المداخل الرئيسية إلى الميدان، أحد أكثر شوارع القاهرة ازدحاماً □  
وتابعت: "كنا نعلم أنهم (القوات المصرية) سيأتون [إلى الميدان] ويضربوننا، لولا أن الفض كان بهذه الوحشية والقبح والعنف - وهذا شيء لم نتوقعه أبداً □ لم نكن نعتقد أننا سنرى شيء كهذا في مصر".  
لقد وعدت السلطات المصرية في البداية بتفريق الاحتجاج تدريجياً وقالت إنها ستوفر مخارج آمنة للناس لمغادرة الميدان □  
لكن التفريق الفعلي كان على العكس تمامًا □

"خط رفيع بين الحياة والموت"

في غضون 12 ساعة، من شروق الشمس إلى غروبها، أطلقت قوات الأمن والقناصة الذخيرة الحية على حشود كبيرة من المتظاهرين، حيث سدت ناقلات الجند المدرعة كل نقطة تؤدي إلى ميدان رابعة العودية في القاهرة □  
باستخدام المركبات المدرعة والقناصة والذخيرة الحية، قتلت القوات المصرية ما لا يقل عن 817 شخصاً في رابعة و87 آخرين في ميدان النهضة، وفقاً لمنظمة هيومن رايتس ووتش □  
وقدرت جماعات حقوقية أخرى العدد بنحو 2600، حيث لا يزال مئات المتظاهرين في عداد المفقودين □  
وذكرت جيهان لميدل إيست آي: "كنا نجلس في خيمتنا، ثم طارت الرصاصات فوق رؤوسنا □ أصابت إحداها طفلاً كان يجلس معنا □ في تلك اللحظة أدركت الخط الرفيع بين الحياة والموت".  
وتابعت: "تم تنفيذ الهجمات من جميع المداخل الخمسة للساحة، مما جعل من المميت للمحتجين المحاصرين محاولة مغادرة الساحة أو نقل الجرحى إلى المستشفيات □ وقتل العديد من الذين حاولوا الفرار بالرصاص".  
وأضافت: "أحد المشاهد التي لن أساها أبداً هو عندما دخلنا المسجد، كانت النوافذ مغلقة والأمهات والأطفال محبوسين في الداخل لحمايتهم من الغاز المسيل للدموع الذي تم إطلاقه في الخارج".  
وتابعت: "كنا جميعاً واقفين بينما كان الرجال يحملون الجثث ويكدسونها □ من بين القتلى شاب لن أنساه أبداً □ كانوا يحملونه على ساقيه أولاً، ولكن عندما مروا رأينا أنه لم يكن هناك رأس □ كيف يمكنهم قتل شخص مثل هذا؟ "كيف فجروا دماغه؟".  
اعترف وزير الداخلية آنذاك محمد إبراهيم لاحقاً في مقابلة تلفزيونية أنه توقع مقتل ما لا يقل عن 2000 شخص بين المتظاهرين أثناء الفض □  
وكرر رئيس الوزراء آنذاك حازم الببلاوي هذا، حيث قال أيضاً في مقابلة أن "النتيجة النهائية كانت أقل مما توقعنا".

بالنسبة للناجين مثل جيهان، لا يبدو الأمر وكأن عقدًا من الزمان قد مرّ  
تقول إنها، مثل العديد من الناجين الآخرين، تطاردها صور ذلك اليوم، عندما كان الموت في كل مكان

تم استغلال حركة تمرد  
على الرغم من وفرة الأدلة التي تشير إلى تورط الجيش المصري في عمليات القتل، لم يتم تقديم أي شخص للمحاكمة ولم تحقق الحكومة  
المصرية بعد في المذبحة بشفاقة  
أصدر المجلس القومي لحقوق الإنسان المعين من قبل الحكومة تقريرًا عن الأحداث، لكن نتائجه تتعارض مع روايات الشهود ونشطاء حقوق  
الإنسان

في يوم الاثنين، تم تسريب مسودة تقرير المجلس القومي لحقوق الإنسان أخيرًا عبر الإنترنت، مع "وثيقة تقول أنه" كان من الممكن إنهاء  
الاعتصام دون إراقة دماء".

"يجب إعادة فتح هذا الملف من قبل لجنة مكونة من قضاة التحقيق ... حتى يتمكن الجمهور من الوقوف على الحقيقة وأضاف التقرير:  
"من أجل الحفاظ على وحدة الوطن ومنع هذا الانقسام السياسي من التحول إلى انقسام اجتماعي يهدد وحدة الدولة"، كما جاء في  
التقرير الذي تم تأليفه في عام 2014.

لقد قبلت الولايات المتحدة، التي دعمت الجيش المصري منذ فترة طويلة، صعود السيسي وتواصل تزويد القاهرة بالتمويل العسكري  
الحاسم قبل أسبوعين من عمليات القتل، وصف وزير الخارجية الأمريكي جون كيري التطورات التي أعقبت الانقلاب بأنها "استعادة  
لديمقراطية".

وقالت شروق أمجد، وهي ناشطة وعضوة سابقة في حركة تمرد، إنها في حين أنها لا تندم على بدء الاحتجاجات ضد مرسي، فمن الواضح  
أن كبار قادة الجيش المصري استغلوا الحركة

وزعمت حركة تمرد، التي تعني "التمرد" أو "العصيان"، أنها جمعت توقيعات 22 مليون مصري، وهو ادعاء غريب نجح بطريقة ما في توحيد  
المعارضة وحشد عدد كبير من المصريين ضد حكومة مرسي

كان مؤسسو المجموعة قد أكدوا في البداية على اهتمامهم بإعادة السياسة إلى الشعب المصري ولكن المزاعم تضاربت حول ما إذا  
كانت المجموعة قد أنشأتها المخابرات المصرية لمواجهة جماعة الإخوان المسلمين

وقالت شروق لميدل إيست آي: "في ذلك الوقت كنا صغارًا، وكان الحماس دافعًا لنا"، مضيفة أن الحركة "لم تكن تفهم السياسة" ولم  
تكن على دراية بدور الجيش في تصنيع الاضطرابات

وأضافت: "لقد تم استغلال الحركة في البداية، بدأنا ببضعة شباب، معظمهم من الثورة [ضد مبارك]، وكانوا يطالبون بإجراء انتخابات  
رئاسية مبكرة لكن مع مرور الوقت، بدأنا نرى وجودًا جديدًا لم نكن نعرف عنها شيئًا".

أدركت لاحقًا أن هذا كان جزءًا من عملية بدأ فيها الجيش ومسؤولو الأمن في ممارسة نفوذهم على تمرد، والاستيلاء على سمعة  
المجموعة كحركة ثورية شعبية لمتابعة أجندتهم الخاصة

زعمت التسجيلات الصوتية المسربة أن قيادة تمرد كانت تعتمد على حساب مصرفي يديره جنرالات مصر وتغذيه الإمارات

التعذيب منتشر

في عام 2014، بعد تحقيق دام عامًا، خلصت هيومن رايتس ووتش إلى أن عمليات القتل في رابعة "كانت جزءًا من سياسة" و"ربما ترقى  
إلى جرائم ضد الإنسانية".

وتابعت: "نسببت مذبحة رابعة في حملة مدمرة من الاعتقالات والمحاكمات الصورية والتعذيب والنفي التي أزالته أي مساحة للحوار النقدي  
ودفعت العديد من الناس إلى الفرار".

وقال آدم كوجل، نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش: "إننا نطالب السلطات المصرية  
بإخراج الإصلاحيين من البلاد معالجة ما حدث في رابعة لا تتعلق فقط بضحايا رابعة وأسرتهم، بل إنها تشكل أيضاً أهمية بالغة بالنسبة  
لآفاق حقوق الإنسان والديمقراطية في مصر".

تلقى المجتمع المدني في مصر ضربة قاصمة منذ تولى السيسي السلطة، حيث أدت حملة القمع ضد المعارضة السياسية إلى منع إنشاء  
أحزاب سياسية حقيقية، وفرض قيود على المنظمات غير الحكومية بموجب قانون يهدف عمدًا إلى الحد من عملياتها

يحظر القانون أنشطة مثل استطلاعات الرأي العام والبحث الميداني دون موافقة الحكومة ويمنح الحكومة سلطة حل المنظمات غير  
الحكومية التي تعمل ضد اللوائح الحكومية التقييدية

غادرت معظم جماعات حقوق الإنسان المستقلة مصر وتعمل من الخارج خوفًا من الملاحقة القضائية

ووفقًا للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان التي تم إغلاقها الآن، بلغ إجمالي عدد السجناء في مصر في مارس 2021 120 ألفًا، مع  
ما يقدر بنحو 65 ألف سجين سياسي - ما لا يقل عن 26 ألفًا منهم لا يزالون محتجزين قبل المحاكمة

لا يوجد إحصاء رسمي لعدد السجناء السياسيين، وتنفي حكومة السيسي احتجاج أي معارضين في السجن

يتعرض العديد من المعتقلين تعسفياً للاختفاء القسري، والذي أصبح "ممارسة منهجية" في ظل حكم السيسي، وفقًا للجنة العدالة  
وفي الوقت نفسه، اتهمت جماعات حقوق الإنسان السلطات بالحفاظ على سياسة الإهمال الطبي والتعذيب وسوء معاملة السجناء  
السياسيين، مما أدى إلى وفاة مئات الأشخاص منذ عام 2013.

ويظل التعذيب ممارسة واسعة النطاق من قبل أجهزة الأمن ونشرت وسائل الإعلام الدولية العديد من الكشوفات حول التعذيب في  
أماكن الاحتجاز، لكن السلطات لم تحقق في أي من الحوادث ولا يزال الجناة طلقاء

<https://www.middleeasteye.net/big-story/egypt-rabaa-massacre-ten-years-bodies-as-far-as-eye-see>